أسرار التأثير العربي-الإسلامي على الغرب في ثلاثية علوم: الطب، والجراحة، والقبالة

أسرار التأثير العربي- الإسلامي على الغرب في علم القبالة (علم النسائية والتوليد)

الجزء الثالث

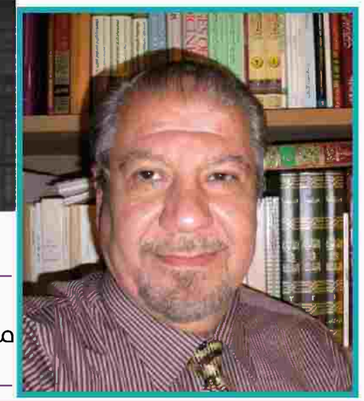

البروفيسور: مهند الفلوجي - لندن

أستاذ الجراحة والمشرف على: معهد تاريخ الطب والعلوم عند العرب والمسلمين (www.ihams.org)

للتأثير العربي- الإسلامي على الغرب أسرار وخفايا لا يعلمها الكثير، خصوصاً في ثلاثية العلوم الطبية البحتة الكبرى: الطب الباطني، وعلوم الجراحة، وعلم القبالة – أي النسائية والتوليد. هذا التأثير في هذا المقال يكشف النقاب ولأول مرة عن (أثر العرب في الغرب) تأثيراً شديد الخطر، عميقَ الأثر، وبعيدَ النظر.

والمقالة هذه هي الجزء الثالث والأخير من هذه الثلاثية (أسرار التأثير العربي- الإسلامي على الغرب في علم القبالة- أي النسائية والتوليد) وتبيّن آثار هذا التأثير وأبعاده وعمقه على الغرب الأوروبي في الممارسات الطبية سالفاً ولاحقاً ولا تزال واضحة إلى اليوم، رغم محاولات الطمر والطمس المتقصدة عبر التأريخ، ورغم جهل أو تجاهل مؤرخي الغرب قديماً وحديثاً.

قد لا يعلم الكثير أن مصطلح علم النسائية أي Gynaecology هي عربية الأصل والمنشأ

(n) gynaecology [gin-e-kolo-ji]

جاينيكولوجي أي علم النسائية كلمة مُركّبة ومُشتقّة من جاين: إمرأة، ولوجي: مُدراسة. أصل كلمة امرأة من الهنديّة الأوروبيّة جوين، ومن الإغريقيّة جون وجاين (منها اشتقّت الإنجليزيّة جاينيكولوجي أي علم النسائية)، ومن الفارسيّة زان (منها اشتقّت الإنجليزيّة زانانه أو حريم)، وبالسويديّة كفينا، ومن الإنجليزيّة القديمة المندثرة قوَين. ثم أصبحت كوين (سوين كما كانت تُسمّى). بالعربيّة قَيْنَه: امرأة والأمَة أصلاً . العودة للدراسات الإغريقيّة في القرن الـ 16 الميلادي أدّى لزيادة تبنّي مركبّات تحوي جون وجاين ضمن الإنجليزيّة. أقدم الكلمات المقيّدة هي: جاينيكونوم (عضو قضاة أثينا وعمله التأكيد على تصرّف النساء بأدب)، وجاينوكراسي (حكم النساء). جاينيكولوجي جاءت مُتأخرة بالمقارنة ولم تظهر قبل 1840. أيضاً لوجي أو لوغي بالعربيّة لغة بمعنى المُدارَسَة، فيصبح أصل جاينيكولوجي عربيّاً لُغة القين (أي مُدارسة أمراض النساء) علماً أنّ علم القبالة والتوليد هو أصلاً ابتكار عربيّ إسلامي لأبي القاسم الزهراوي فيه الفضل الأكبر.

that branch of medicine which treats of the diseases of women. –adj. gynaecological. –n. gynaecologist. □ in prehistoric Indo-European woman is gwen- and Greek gune, gyne woman (from which English gets gynaecology: formed of gyne, woman, and logus, discourse). Persian zan woman (from which English gets zanana harem). Swedish kvinna woman, and the now obsolete English quean woman. In its very earliest use in Old English queen (or cwene, as it then was). The resumption of the study of the Greek in the 16th century led to increasing adoption of compounds involving gune into English. The earliest recorded ones are gyneconome member of a board of Athenian magistrates whose job was to ensure that women behaved properly and gynocracy rule by women. Gynaecology is a comparative latecomer, not appearing before the 1840s. Arabic qain, woman, or a concubine; -logy, in Arabic loga, logha, a discourse or a language. Furthermore, the science of obstetrics and gynaecology is an Arabic Islamic invention, with the greatest contribution by Albucasis□ Also see under quean and queen

Arabic Medicine and Arabic words in Medicine

الطبّ العربيّ وكلمات عربيّة في الطب (راجع النصّ الأنكليزي والكلمات ذات الصلة في مواضعها في مُعجم الفردوس).

قيصر: لقب إمبراطور الروم، سُمي نسبةً إلى العملية القيصريّه (أي العمليّة القطعيّة) التي وُلد فيها (وليس العكس أي لم تُسمّى العملية باسمه كما يُظنّ خطأً). (اقرأ النص الأنكليزي أيضاً).

العملية القيصرية:

بالإستناد لمخطوطة الشاهنامة (أو كتاب الملوك) للفردوسي الذي كُتب مع صوره البيانية حوالي 1560-1580 م (المخطوطة موجودة في متحف متروبوليتان للفنون في نيويورك)، فإن أول عملية قيصرية قد أُجريت على البطل الفارسي "رُستم" قبل عدة قرون من إجراءها على قيصر الروم، لذا فإن اسم قيصر (ويعنى القاصّ القاطع مشتق من المقصّ) قد اشتق اسمه من العملية القصّيّة القطعية (بقطع بطن الأم واستخدام المقصّ لإخراج الجنين) وليس العكس (أي لم تُسمّى العملية القيصرية على اسم قيصر). أنظر الصورة:

الشاهنامَا للفردوسي يكشف عن ولادة رستم، البطل الفارسي، بولادة قيصر طويلة (المصدر قصر تويكابي)

وقد ساعد القرآن الكريم (عمود الشريعة الإسلامية) على حثّ الأطباء المسلمين لأجراء هذه العملية كما في قول الله تعالى: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا) المائده 32. بل الحقيقة هي أنّ الإسلام هو الذي فتح عيون الجراحين للأغشية الثلاثة المحيطة بالجنين ومهّد بذلك لهذا التداخل الجراحي لإخراج الجنين حيّاً كما في قول الله تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ) الزُمَر 6 إشارةً لجدار البطن، وجدار الرحم، وغشاء كيس الجنين (الأمنيوني).

واُتخذت هذه الولادة النظيفة كعلامة على سمو قدر المولود ليكون ملكاً أو بطلاً بولادته هكذا متحاشياً ظلمة وقذارة الخروج الطبيعي بين مجاري البول والبراز.

من الواضح ان العملية القيصرية قد أجريت ابتداءاً (بسبب شحّة المعرفة التقنية) على الموتى، إن كان هناك أمل لإنقاذ الطفل كامل العُدّة (خصوصاً، إذا كان السؤال بتقديم وريث ممكن للعرش، ويبدو أنه كان لدى الفرس القدماء قبل الإسلام استثناءات مسموح بها). ولكن الفردوسي عاش في العصر الإسلامي، فلا بُدّ أنه قد شهد إجراء العملية القيصرية (بأمّ عينيه) قبل توضيحها بالرسوم في كتابه.

كما أنّ لدى مكتبة جامعة أدنبره المخطوط الأصلي 161، طيّة 6، الصفحة اليسرى، بعنوان (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيروني بتاريخ 1308/1307 (أنظر الصورة أدناه):

أم مستلقية على ظهرها من أسرة الحكيم حين قيام البيروني باستخراج الطفل من رحم الأم. هذه الصورة هي الأولى لتوضيح عملية قيصرية ما تسمى بـ "ولادة قيصر"

وهذه المخطوطة تكشف أن العملية القيصرية في الإسلام لم يستمر اجراؤها في الحالات الخاصة على الأمهات الموتى وحسب، بل والأرجح أنها أجريت على زوجات حيّات للملوك والسلاطين والأمراء المسلمين، وبطلب سلطاني خاص، لانقاذ كلٍّ من الوالدة والوليد الوريث (وريث العرش والسلطة). أنظر الصورة أدناه:

القابلة المتخصصة تستخرج الجنين الحيّ من الأم الحيّة بعملية قيصرية تحت ارشاد الطبيب (يُشاهد في يسار الصورة)، والسلطان (الزوج والوالد يُرى في أسفل يسار الصورة) وهو يدعو الله بنجاة زوجته الوالدة وطفله المولود (وريث العرش).

جمعت اللوحات التي توضح الجراحين المسلمين وهم يؤدون العملية القيصرية من شاهنامة الفردوسي وكتاب البيروني من قبل (براندنبورغ) مع التعليق الممتاز المتتالي؛ ويمكن للمرء أن يدرس اللوحات رقم 65، 73، 82 . بعناية. علاوة على ذلك، فإن الجراحين العرب، وخصوصاً أبو القاسم الزهراوي (936-1013م)، والرازي (865-925) كانوا مهتمين بإنقاذ الأمهات الأحياء والمهددات بانتشار النتن من أجنتهم الموتى، وإنهم لم يكتفوا بتوصيف تفاصيل استخراج الأجنة الموتى مهبلياً، بل وأبدعوا في صناعة الآلات المختلفة المستخدمة لمثل هذا العمل، مثلاً ملقط التوليد لأبي القاسم الزهراوي (كان سابقاً للقط شامبرلين الحديث).

وبالنتيجة فإنّ الجراحين العرب في علاجهم كانوا يتطلبن لعلاج حالات المآزق الثلاثة: وهي الأم ميتة مع الجنين الحيّ، الأم الحيّة مع الجنين الحيّ، والأم الحيّة مع الجنين الميت. وبالتالي فإنّ العرب كانوا بحقّ مؤسسو علم القبالة كفرع مستقل من المهنة الطبية.

لأسباب أخلاقية أو عقائدية ، فإنّ الإسلام قد حافظ على مبدأ لا زال إلزامياً لكل طبيب توليد حالياً: أولاً إنقذ الأم، حتى لو كان على حساب التضحية بالطفل؛ وفقط عندما ينعدم الأمل لإنقاذ الأم ينبغي إذّاك محاولة إنقاذ الطفل (إذا كان لا يزال على قيد الحياة – كما في الصورة الحديثة أدناه).

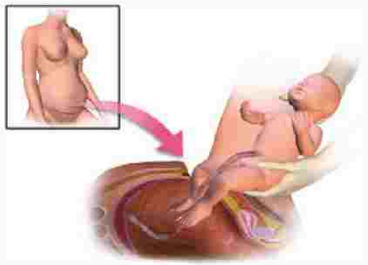

Caesarian section According to the manuscript of Shanama or "Book of Kings" written and illustrated by Ferdowski c. 156080- (in the Metropolitan Meseum of Art in New York), the earliest such operation was carried out on Rustam, a Persian hero (many centuries before the Roman Caesar). Such immaculate birth was even taken as a sign of a high destiny- kings and heroes tend to avoid the dark dirty confines of the natural channels of birth (inter faeceset urinas nascimur). It is evident that caesarian section was initially performed (for the lack of technical knowledge) only in the dead, if there was still hope of rescuing the full-term child (particularly, if it was a question of delivering a possible heir to throne, the ancient Persians- be fore Islam- seem to have allowed exceptions). Ferdowsi, however, however lived in the Islamic era, and he must have seen a ceasarian section performed before his eyes before illustrating it in the book.

Moreover, Edinburg University library has its possession an original manuscript by Al-Biruni, entitled 'Al-Athar al-bagiya an al-qurun al-khaliyah' (The Chronology of Ancient Nations) (manuscript 161, folio 6, verso).

It reveals that ceasarean section in the Islamic world not only continued to be performed under special circumstances on dead mothers, but was probably also performed on living wives of Muslims kings, sultans and amirs at their special request to rescue both the mother and the heir child. Plates illustrating Muslims surgeons performing caesarean section were gathered from Ferdowsi's Shah-nama and Al-Biruni's book by Brandenburg with excellent running commentary; (Brandenburg, D. (1982) Islamic Miniature Painting in Medical Manuscripts, Basle: Hoffman-La Roche); one can study Plate No. 65.73.81.82 carefully.

Furthermore, Arab surgeons, particularly, Albucasis (AD 9361013-) and Rhazes (AD 865932-), were aware of rescuing living mothers threatened by spread of sepsis from their dead fetuses; they had not only described the details of vaginal extraction of dead fetuses, but masterminded the manufacture of various instruments for such as job, i.e. Albucasis' obstetric forceps (preceding Chamberlains). Arab surgeons were thus aware in their management of three predicaments namely, dead mother with a living fetus, and living mother with a dead fetus. Arabs, therefore, were the real founders of midwifery as a separate branch of the medical profession. For moral or doctrinal reasons, Islam upheld the principle that is still mandatory for every obstetrician today: first save the mother, even if the child has to be sacrified; only once hope has been abandoned for the mother should an attempt be made to save the child (if still alive).

المصدر:

معجم الفردوس ومغامرات اللغة العربية وجهادها عبر التاريخ، للأستاذ الدكتور مهند الفلوجي، طبع مؤسسة العبيكان، 2012. راجع المعجم (الجزء الثاني) تحت الكلمات:

Arabic Medicine ، Gynaecology, Caesar and Caesarian section